

بَابُ بَيْتِهِمْ تَبَهُتَكَ لِحَسْبِهِ بِمِ حَلَّتْكَ بِحَسْبَتِكَ بِتَابِ حَتَاكَ بِلِ حَسْبَتِكَ فِي الطَّبِيعَةِ، نَيْسَانَ سَبْحَانَ مِنْ أْبَدَعِهِ لِابْنِ الْعَبْرِيِّ

الشماس بلسم غانم الشماني

وردت للعلامة ابن العبري في كتابه (ميسر) قصيدة جميلة في باب جمال الطبيعة (صيدر) بعنوان (جلا بيه مه صيدا حيصيريه) أي (نيسان سبحان من أبداعه) تقع هذه القصيدة في ٦٨ بيتاً على الوزن الإثنا عشرية.

وقد تكلم قاطفاً بعض روائعها المثلث الرحمات مار غريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد (+١٩٦٩) في كتابه (يوحنا بن العبري، حياته وشعره، حلب ١٩٨٤) دون ذكر نصّها السرياني.

وقد ذكر مار غريغوريوس بأنّ ابن العبري هو ثان الشعارين السريانين اللذان وصفا جمال الطبيعة بعد الشاعر المبدع داؤد بر فولوس^١ (أواخر الثامن وأوائل التاسع) إذ هام بر فولوس في قصيدة أفرامية مطولة بديعة وصف فيها الأشجار

^١ ولد بر فولوس (الأبنا داود بن بولس آل ربان) في قرية بيت شاهاق [بعشيقه الحالية] في كورة نينوى في بيت علم أدب من أسرة ربان، متحدرًا من بيت سبروي ابن إبراهيم جدّه الأعلى، وقرأ على يد موسى معلم البيعة الكبرى في بيت شاهاق [معالمها غير موجودة حالياً] وهو جدّ أبي موسى بن كيفا حتى صار من علماء اللغة السريانية وأدائها. ترهّب في دير خنوشيا بالقرب من سنجار ودرس اللغة اليونانية وصار لاهوتياً كبيراً ورقى إلى درجة الكهنوت، ترأس دير مار سرجيس في الجبل القاحل. له الكثير من التصانيف والمؤلفات والرسائل في مختلف ضروب العلم والمعرفة (اللؤلؤ المنثور، أفرام الأول برصوم، البطريرك، حلب ١٩٩٦ ص ٣٢٥)

مفصلاً إيّاها ذاكراً أنواعها وثمارها ومواصفاتها.

وقد وصف الشماس بشير الطوري^٢ شاعرية ابن العبري من إبداع وبيان وبلاغة ورمزية. ودقّ ناقوس هذه القصيدة مترجماً مقدمتها عن شهر نيسان. وقد قال الطوري: " لقد كتب الكثيرون عن ابن العبري، ولكن أجمل وصف له ما نعته به المطران بولس بهنام حيث أسماه بـ (شاعر فلاسفة السريان وفيلسوف شعرائهم).

وفي هذه القصيدة وصف ابن العبري شهر نيسان بورده وزهره على أنّه رمز لفصل الربيع، فصل التجدد والعتاء، الجمال والألوان، العبير والتغريد... هذا الشهر الذي حرّر أعباءه من قيود الشتاء القارس.

ويحيك من هذا الوصف مسرحية عنوانها عرسُ الورد، نجد فيها الختن والعروس من جهة، المدعويين وخدر العرس من جهة أخرى. وأبطال المسرحية هم الورد والسوسن والنرجس والآس، وكذلك البلبل المغرّد، ولا ننسى أن مرج نيسان هو خشبة المسرح. ويُصَبّ (شاعرنا) الوردُ سيداً وملكاً على الزهور والسوسن على اعتبارهم عبيداً ومملوكين له.

وفي بعض مشاهد المسرحية نلتمس أنّ هناك محاورة مليئة بالدروس والعبير بين الشاعر والورد حيث يسأل الشاعر ويجيب الورد.

وفي طيّات القصيدة بيتُ القصيد ففيه الحكمة لمن احتكم وعبرة لمن اعتبر، فالإبتعاد عن المستهترين فضيلة، وتجنّب أبناء السوء غاية سامية، حتى وإن كلف الأمر بذل الغالي والنفيس، حيث أنّ الورد بحسب فكر الشاعر بجماله وجلاله في منزلة الإنسان العاقل الطاهر والعفيف السامق.

^٢ عقد الجمان في أدب السريان، بشير الطوري، دار المشرق الثقافية، دهوك ٢٠١٣

في هذه المقالة نورد النص السرياني للقصيد^٣ مع ترجمته كاملاً، مستعينين بما اقتطفه مار غريغوريوس بولس بهنام.

ويفتح شاعرنا قصيدته بقدوم شهر نيسان أشدّ أشهر الربيع وأروعها، بقوله:

ها قد حلّ نيسان، فعزّى وأراح المغتمين، وبزهوره ألبس الجبال والحقول مجداً.

فدعا واستضاف الأزاهير إلى عرس الورد.

هيا مهيا بهي هحسبها حيا بهي.
هوحيا حلهوا هوحيا مهحيا الحيه.
حلهوا هوحيا ححسبها مهيا ميا اوف
حيه:

ويواصل وصف نيسان بأثني يهيء الطريق أمام الختن (الورد) ليخرج من خدره بين أزاهير الحقل التي تزيّنت كالعرائس بعد أن تحرّرت من قيود الشتاء القارس. وقد أطلق البلبل العنان عن لسانه ليغرّد على الدوام ويغني للورد على منبر النرجس والأس.

هوحيا حلهوا بهي هحسبها هوحيا حيه.
هوحيا حلهوا هوحيا مهحيا الحيه.
هوحيا حلهوا بهي هوحيا حيه.
هوحيا حلهوا بهي هوحيا حيه.
هوحيا حلهوا بهي هوحيا حيه.

^٣ ديوان شعر ابن العبري (ميمسدر)، المطران يوحنا دولباني، أورشليم ١٩٢٩ ص ٧٣

^٤ عسيتي عند الشرقيين

(إلى هنا ويتوقف المطران بولس بهنام)

ويسترسل شاعرنا وصفه، بقوله:

يبدو السوسن كالعرائس في مخادعها مزينة وزاهية بجمال ألوانها. وهوذا الليل
مجنونٌ (ثملٌ) بحبها وكشاعر يناجي الورد وسط الجنائن.

هـَا مَهْمِيَا وَمَهْمَا دَلَّجِيَا مِي مَهْمِيَا
مَرَجِيَا يَمِيَا إِف مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا
هـَا مَهْمِيَا هـَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا
هـَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا

ويرى شاعرنا أن عُمرُ الورد الجديد لقصير وعليه أن يحتمي ويثبت وسط
الجنينة بشتى أنواعه.

رَجِيَا رَجِيَا رَجِيَا رَجِيَا رَجِيَا
رَجِيَا رَجِيَا رَجِيَا رَجِيَا رَجِيَا

ولكن، (يقول الشاعر)، رأيتُه (الورد) متنقلاً بين الخمّارات يرمي بنفسه على
الشرهين (الفاسقين) مثل زانية.

هـَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا
هـَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا مَهْمِيَا

وتشتدّ حماسة وغيره الشاعر على تصرفات الورد غير اللاتقة، لذلك يناديه
كي يعدل عن تصرفاته بهذه المحاورة البديعة بينه وبين الورد، إذ يقول:

قلتُ للورد، لما أنت بيّد وأحضان كل شره (فاسق) وثلم بذيء وجشع؟

كَلِّفُوا لَمَدِيَا وَكَلِّفُوا لَمَدِيَا

وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا

فأجاب الورد: صه!! واهداً، وأبطل الجلبة، لأنّ حياتي أصبحت وشيكة ودنت من الهاوية برفقة الأشواك.

وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا
وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا

قلت للورد، لماذا تتذلل كمستهتر؟ ولا تحجب جمالك الأخاذ في وقت الشدة؟

لَهْوًا زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا
لَهْوًا زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا

فأجاب الورد، لنفسك كن كارزاً، فالإستهتار أفضل لي من أن أحصى مع الأشواك.

وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا
وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا

فزجرت الورد، لماذا إذا تهب نفسك لكل انسان؟ حيث يجتذبك إلى حضنه كالثملة؟

لَهْوًا زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا
لَهْوًا زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا

فأجاب الورد، الحياة قصيرة والبهاء يزول، فلما أهرب ما دام جمالي ينتهي؟

وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا وَهِيَ زَهْرًا زَهْرًا

° وردت في الكتاب **لَهْوًا** والأصح **لَهْوًا** يمنع

لحمه إلفاً وحلاوة مهفياً
سعداً

قلت للورد، عندما يقطفك البستاني، أؤخزه بالشوكة ولا تتركه يخطفك.

لوزوا أمدنا حب حبيبا حب به مهفياً

وحهزبه حهحا هلا لمحهمبه وحب نوا بهفياً

أجاب الورد، وكأنه (البستاني) من فكري تعلم هذا، فيريد أن يخلص جمالي من مرافقة العليق (الأشواك).

هوزوا فهد وهد هه إوحله هوزا بهفياً

وحهمهله مد بهحهله وههله سله

قلت للورد، إن أراد البستاني قطفك، أؤخزه في صدره ولا تدعه يقطعك.

لوزوا أمدنا حب حبيبا نحا وحب بهفياً

ححها وههزه هوسهف هه لا لمحهم

قال الورد، من أجل هذا فتحت فمي لأقبل يد من يحررني من عبودية الأشواك.

هوزوا فهد وههمه حلا هوزا فلهبه

واهمه: إبه حلا إهله وهد مه ححه

وههله بهفياً

إلى هنا وتنتهي المحاورة.

ويبدأ شاعرنا بمدح الورد، فيقول:

أيها الورد، بمدحك يعجز فم كل بليغ وإن نظم أشعاراً بألف صحيفة.

كَلِمَةٌ بِهِنَّ وَأَسْمَاءُ يَوْمًا هَهُنَا جَمِيلًا
 مَهْمًا مَدِينَةً يَوْمَ حَيْهٍ هَهُنَا بِمَدِينَةٍ

ويقارن أيضاً إذ يقول:

إنَّ الورد كبيرق بين الزهور، وإن كان من السكارى مَنْ استخفَّ بالمأدبة.
 فالأزاهير مثل الأرجل والورد رأسها، جماله ذاتي وجمالهم مستعار. فالورد جميل
 على كل نفس، ملكٌ أم وضيع. ولكن بالنسبة إلى الأزهار فكُلُّهم خدام وهو الملك،
 وكلُّ الأزاهير له فقط يسجدون وليقدموا له هدايا المجد، مستشيرون.

كَلِمَةٌ بِهِنَّ وَأَسْمَاءُ يَوْمًا هَهُنَا جَمِيلًا
 مَهْمًا مَدِينَةً يَوْمَ حَيْهٍ هَهُنَا بِمَدِينَةٍ
 كَلِمَةٌ بِهِنَّ وَأَسْمَاءُ يَوْمًا هَهُنَا جَمِيلًا
 مَهْمًا مَدِينَةً يَوْمَ حَيْهٍ هَهُنَا بِمَدِينَةٍ
 كَلِمَةٌ بِهِنَّ وَأَسْمَاءُ يَوْمًا هَهُنَا جَمِيلًا
 مَهْمًا مَدِينَةً يَوْمَ حَيْهٍ هَهُنَا بِمَدِينَةٍ
 كَلِمَةٌ بِهِنَّ وَأَسْمَاءُ يَوْمًا هَهُنَا جَمِيلًا
 مَهْمًا مَدِينَةً يَوْمَ حَيْهٍ هَهُنَا بِمَدِينَةٍ